بسم الله الرحمن الرحيم

هيئة اليد العليا

مركز اليد العليا للدراسات هو مركز بحثي تابع لهيئة اليد العليا، يتعاون مع طائفة من الباحثين والخبراء، ويهدف إلى تنويع مصادر المعلومات للهيئة، وتمكينها من عملية صنع القرار، وتوجيه الظواهر والتحولات الجيوسياسية والاستراتيجية، والتأثير على القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية العالمية.

العدد: د/ ٤٤٢٣٠٢ أوروبا وآسيا الوسطى ٢٥ يناير ٢٠٢٣ م ٢ رجب ١٤٤٤ هـ الصفحة الأولى

تقييم حالة

التطور العكسي للجماعات الجهادية: من أجندات عالمية إلى وطنية

تقييم مستقبل نظرية نفير الثُّبات في الحركات الجهادية

لعبت القومية، وهي الإيمان بأمة متميزة لها ثقافتها وتاريخها وهويتها الخاصة، دورًا مهمًا في تشكيل أهداف واستراتيجيات الحركات الجهادية؛ إذ جعلت القومية العديد من الحركات تركز في المقام الأول على الجهاد في حدود وطنية، بدلًا من التركيز على أهداف عالمية.

من المثير للاهتمام النظر في تطور الحركات الجهادية وكيف تحولت إلى حركات قومية أكثر في السنوات الأخيرة. يمكن رؤية هذا التحول في العديد من الجماعات، وأحد الأسباب الرئيسية لهذا التحول هو المشهد السياسي المتغير في المنطقة؛ فكان عليها التكيف وتغيير تكتيكاتها من أجل البقاء.

على سبيل المثال، كانت طالبان في الأصل مجموعة جهادية عالمية بهدف إقامة خلافة إسلامية في جميع أنحاء العالم الإسلامي، ومع ذلك، عندما واجهت المجموعة ضغوطًا عسكرية متزايدة من الولايات المتحدة وحلفائها، بدأت في تحويل تركيزها إلى المزيد من القضايا المحلية وتبنت موقفًا أكثر قومية. اليوم، تركز حركة طالبان بشكل أساسي على القتال من أجل السيطرة على أفغانستان وتخلت إلى حد كبير عن طموحاتها الجهادية العالمية.

تأثر هيئة تحرير الشام، هو مثال آخر على تأثر الحركات الجهادية بالقومية والبراغماتية، مما أدى في النهاية إلى قصر نظرها وعدم قدرتها على تحقيق طموحات أكبر.

غالبًا ما استخدمت الحركات الجهادية القومية كوسيلة لحشد الدعم والتجنيد؛ من خلال تأطير قضيتهم على أنها نضال من أجل التحرر الوطني.

إن هذا التحول نحو القومية كان له أيضًا بعض النتائج؛ لقد جعل الأمر أكثر صعوبة على الحكومات الوطنية والقوى الدولية لمحاربة هذه الجماعات بشكل فعال؛ لأنها لم تعد موحدة تحت أيديولوجية عالمية واحدة. بالإضافة إلى ذلك، أدى هذا التحول أيضًا إلى زيادة العنف وعدم الاستقرار في العديد من المناطق، حيث تقاتل هذه الجماعات من أجل السيطرة على الأراضي والموارد.

البراغماتية، نهج إعطاء الأولوية للعملية والكفاءة، أثرت أيضًا على تصرفات الحركات الجهادية؛ ففي حالة الجولاني وهيئة تحرير الشام، أدت البراغماتية إلى الاستعداد للتكيف وتغيير القناعات من أجل البقاء والنجاح، في حين أن هذا قد يكون قد

ساعد المجموعة على التكيف، إلا أنه يشير أيضًا إلى الافتقار إلى الالتزام الأيديولوجي والاستعداد للتنازل عن المبادئ من أجل التطبيق العملي، بدلًا من محاولة مواجهة النظام الدولي وتحديه بشكل مباشر، في حين أن هذه التكتيكات قد تكون فعالة على المدى القصير، إلا أنها تفتقر إلى القدرة على إحداث تغيير كبير ودائم ومحكوم عليها بالفشل في نهاية المطاف. ومؤخرًا، عمل الجولاني على توثيق العلاقات مع مختلف الفصائل لتلافي العزلة العسكرية، بعد الاتفاق المحتمل بين النظام السوري والحكومة التركية الذي قد يشمل القضاء على هيئة تحرير الشام في إدلب، هذه الظروف المعقدة في سوريا أدت إلى تحالفات وخصومات متغيرة باستمرار، مع احتمال أن يصبح عدو الأمس صديق الغد.

لقد أدى تأثير القومية والبراغماتية على الحركات الجهادية إلى تركيز ضيق على الأهداف المباشرة وانعدام الرؤية طويلة المدى؛ بدلًا من السعي لتحقيق طموحات كبيرة، استقرت هذه المجموعات غالبًا على أهداف أصغر وأكثر عملية، ونتيجة لذلك، استسلموا في نهاية المطاف للنظام الدولي ولم يتمكنوا من إحداث تغيير كبير. إن هذا النطاق المحدود للأعمال الجهادية له تأثير كبير على مفهوم الجهاد نفسه؛ الجهاد، الذي يعني على أنه صراع لإقامة الشريعة على الأرض، فالتركيز الضيق أدى إلى فهم مشوه للجهاد.

من الصعب أن نقول على وجه اليقين كيف يمكن للحركات الجهادية أن تعود إلى منظور عالمي بدلًا من أن تقتصر على القومية؛ هناك بعض الاستراتيجيات المحتملة التي يمكن لهذه المجموعات اتباعها من أجل تحويل تركيزها من الأهداف الوطنية إلى الأهداف العالمية.

من الممكن أيضًا أن تكون القومية جانبًا حتميًا للحركات الجهادية؛ فقد نشأ العديد من هذه المجموعات استجابة لقضايا وطنية أو إقليمية محددة، وقد تكون القومية جزءًا طبيعيًا من هويتهم وأهدافهم، فمن أجل تحويل تركيزها من القومية إلى العولمة، قد تحتاج هذه المجموعات إلى إعادة تقييم دوافعها وأولوياتها بشكل أساسي؛ من المرجح أن يعتمد ذلك على الظروف والأهداف المحددة لكل حركة جهادية، وقد تكون بعض المجموعات قادرة على تحويل تركيزها بنجاح من القومية إلى العولمة، بينما قد يكون البعض الآخر أكثر محدودية في نطاقها.

من الصعب تحديد حركات جهادية معينة لا تتأثر بالقومية، حيث لعبت القومية دورًا مهمًا في تشكيل أهداف واستراتيجيات العديد من الجماعات في العالم، ومع ذلك، هناك بعض الأمثلة على الحركات الجهادية التي سعت إلى تبني منظور أكثر عولمة وتجاوز الحدود الوطنية؛ من الأمثلة على ذلك تنظيم القاعدة، الذي تأسس في أواخر الثمانينيات بهدف إقامة دولة إسلامية عالمية، ومثال آخر هو تنظيم الدولة الإسلامية، الذي كان قوميًا في بدايته، حينما كان يقيد نفسه في العراق والشام، ولكنه تخلى عن هذه القيود لاحقًا.

تمثل نظرية نفير الثبات، منظورًا خاصًا لمفهوم الجهاد ودوره في المجتمع؛ إذ تقترح هذه النظرية أن الحركات الجهادية يجب أن تعطي الأولوية للأهداف الجهادية العالمية وأن ترفض الحداثة والنظام الدولي من أجل إحداث تغيير كبير ودائم.

من منظور واقعي، هناك عدد قليل من القضايا المحتملة مع هذه النظرية؛ أحد المخاوف هو احتمال انعزال الحركات الجهادية عن المجتمع الأوسع إذا سعت إلى رفض الحداثة والنظام الدولي، فمن خلال رفض هذه الجوانب من العالم الحديث، قد تحد هذه الحركات من قدرتها على التواصل مع الآخرين والمشاركة معهم، مما قد يعوق فعاليتها وتأثيرها.

بالإضافة إلى ذلك، قد لا تأخذ نظرية نفير الثُّبات في الاعتبار الطبيعة المعقدة والمتعددة الأوجه للجهاد والدوافع والأهداف المتنوعة للحركات الجهادية؛ ففي حين أن بعض الجماعات الجهادية قد تعطي الأولوية للأهداف الجهادية العالمية، قد يكون البعض الآخر أكثر تركيزًا على التحرر الوطني أو أهداف محددة أخرى، فمن خلال التركيز على تعريف واحد ضيق للجهاد، قد تتغاضى نظرية نفير الثُّبات عن تنوع وتعقيد هذه الحركات والظروف والأهداف المحددة التي تشكل أفعالها؛ ففي حين أنه من المهم للحركات الجهادية أن تكون ثابتة في مبادئها وأهدافها،

فمـن المهـم أيضًـا النظـر في تـأثير هـذه الإجـراءات عـلى المجتمـع الأوسع واحتمال حدوث عواقب غير مقصودة.

تـداركت نظريـة نفـير الثُّبـات هـذه الإشـكالات، بتأكيـدها عـلى جـدوى الجهـاد الفـردي عـلى الجهـاد الجماعـي، وأشـارت إلى أن الأفـراد لـديهم القـدرة عـلى الجهـاد وإحـداث فـرق، حتـى لـو كـانوا غير قادرين كأفراد على تنفيذ جهاد عالمي في وقت واحد.

تقـدم نظريـة نفـير الثُّبـات حـلًا محـتملًا للقيـود والمشـاكل التـي تواجهها الحركـات الجهاديـة التـي تبنـت تركيـزًا قوميًـا، مـن خـلال التأكيـد عـلى جـدوى الجهـاد الفـردي عـلى الجهـاد الجماعـي، يمكـن النظـر إلى هـذا المنظـور عـلى أنـه وسـيلة للجهـاد للحفـاظ عـلى حقيقته.

يمكـن أن يكـون لنظريـة نفـير الثُّبـات أيضًـا نتـائج سـلبية، فمـن منظـور سـلوكي، يمكـن أن يـؤدي إلى نقـص في التفكـير النقـدي ورفض النظر في المناهج البديلة، وهـذا يمكـن أن يجعـل الأمـر أكثـر صعوبة للانخراط في حوار بناء أو إيجاد حلول للمشاكل.

مـن المهـم ملاحظـة أن نظريـة نفـير الثُّبـات لم تـتم مناقشـتها أو دراستها عـلى نطـاق واسـع، لكنهـا تقـدم مقاربـة بديلـة محتملـة لهـذه الجماعـات للنظـر فيهـا. يمكـن النظـر إلى هـذه النظريـة، عـلى أنهـا مرتبطة بالفردانيـة مـن حيـث إنهـا تؤكـد عـلى أهميـة معتقـدات الفـرد وقيمـه وأفعالـه، ومـا إذا كانـت النظريـة مناسـبة للإنسـان الحـديث ستعتمد على السياق المحدد والظروف الفردية.

وبحسـب هـذا المنظـور، فـإن الحداثـة والنظـام الـدولي يشـكلان عقبات أمام الأهـداف الحقيقيـة للجهـاد ويجـب التغلـب عليهـا حتـى تكـون الحركـات الجهاديـة فعالـة؛ حيـث يُنظـر إلى القوميـة عـلى أنهـا قـوة ضـيقة ومثـيرة للانقسـام تعيـق قـدرة الحركـات الجهاديـة عـلى تحقيـق الأهـداف الجهاديـة العالميـة، ويُنظـر إلى الحداثـة، بتركيزهـا عـلى الفرديـة والماديـة، عـلى أنهـا غـير متوافقـة مـع مبـادئ الجهـاد، ويُنظر إلى النظـام الـدولي، بتأكيـده عـلى سـيادة الدولـة والحفـاظ عـلى الوضع الراهن، على أنه معادي لأهداف الحركات الجهادية.

تشـير نظريـة نفـير الثُّبـات إلى أن الجماعـات الجهاديـة يجـب أن تعطـي الأولوية لإسـقاط النظـام الـدولي وإيقـاف الحداثـة قبـل التركيـز عـلى إقامة دولـة إسـلامية؛ يُعـرف هـذا المنظـور باسـم "الجهـاد الانتقـالي" أو "جهـاد المنطقـة الرماديـة"، لأنـه يـدعو إلى التركيـز عـلى هـذه الأهداف الأوسع قبـل معالجـة مسـألة إقامـة دولـة معينـة. وفقًـا لهـذه النظريـة، يجـب عـلى الجماعـات الجهاديـة إعطـاء الأولويـة لجهودهـا لتحـدي النظـام الـدولي ومقاومـة تـأثير الحداثـة، بـدلًا مـن التركيـز فقط على إقامة دولة إسلامية في مواقع محددة.

تنص نظرية نفير الثُّبات أيضًـا عـلى أنـه يجـب معالجـة هـذه الأهـداف الأوسـع قبـل إنشـاء أي دولـة محـددة، حيـث يُنظـر إليهـا عـلى أنهـا مقدمة حاسمة لهذا الهدف النهائي.

في الختـام، لعبـت القوميـة دورًا مهـمًا في تشـكيل أهـداف واسـتراتيجيات الحركـات الجهاديـة، إذ تبنـت العديـد مـن الجماعـات تركيزًا أكثـر قوميـة في السـنوات الأخـيرة، مـدفوعًا بالمشـهد السـياسي المتغـير والرغبـة في التكيـف والبقـاء، بالإضـافة إلى ذلـك، أدى تـأثير البراغماتيـة عـلى الحركـات الجهاديـة إلى تركيـز ضـيق عـلى الأهـداف الفورية وانعدام الرؤية طويلة المدى.

انتـهـــــــــــى.